القنات . هي شكل من اشكال احباض الثورة وانتصاراتها . وحرقها عن مسارها وهي في اول الطريق .

وكان من الممكن ان يراوح كل في مكانه . فلا يخل السادات فشله . ولا يعترف باستحالة تسوية سلمية مع العدو . وبالمقابل يصر هذا الاخير على مواقفه فيتمسك بمشروع بيغن او شبيه له . وتستمر الامريالية الامريكية في لعب دور الحكم المحتار الذي لا يكتفي بالتغاضي عن تجاوزات « اسرائيل » واعتداءاتها « غير القانونية » . بل تحرض على تقديم الدعم العسكري . والمساعدات السياسية التي تشجعها على المضي في تلك « التجاوزات » . وتوسيع دائرة الاعتداءات . لكن تحولات مهمة . واعراض خطيرة عرفتها هذه الاطراف او اخرى خليقه لها في ساحات اخرى استراتيجية وحيوية بالنسبة لها جميعا دفعتها الى الاستعجال في احياء المشروعات وحقن المجادثات الثنائية والتي باتت الان ثلاثية بشكل اوضح من السابق . ووضع القطار من جديد على سكة الحديد التي يتوهمون انها ستقوده الى محطة اكثر امانا وملائمة للبحث من جديد في تلك المشروعات .

وضع ومواقف العدو الصهيوني

افرزت زيارة السادات نتائج اخرى غير تلك التي كان يريدها هو . لعل ابرزها على الصعيد السياسي تلك الخلافات التي نشبت بين الكتل الصهيونية المختلفة حول الخطوات الواجب اتباعها من اجل الوصول الى اهداف الحركة الصهيونية التوسعية . هذا بالاضافة الى ان بعض تلك الكتل . وخاصة الكبيرة والمؤثرة في الحياة السياسية حرصت على النفخ في نار هذا الخلاف . واعطائه حجما اعلاميا اكبر من حقيقته السياسية سعيا وراء مكاسب ذاتية تتعلق بالاوضاع الداخلية للكيان الصهيوني . وفي بعض الحالات كانت ليست ذات علاقة بالصراع العربي ـ الصهيوني . ذلك انها جميعا دون اي استثناء لا تختلف في الجوهر عن مشروع بيغن .

هذه الاختلافات احدثت ما يشبه الازمة السياسية المستفحلة داخل المؤسسة الصهيونية التي هي بحاجة الى تماسك ووحدة في هذه الفترة اكثر من اي فترة سابقة . راد من سوء تأثيراتها تلك الازمات الاقتصادية المتتالية التي عصفت بالكيان . ولعل ابرزها الميزانية السنوية الجديدة التي اقرت في اوائل نيسان المنصرم . والتي تكشف نظرة فاحصة سريعة لها مدى الهشاشة البنيوية التي يتميز بها الاقتصاد « الاسرائيلي » فقي حين بلغت النفقات الحكومية ١٨٤٠٧٠ مليون ليرة « اسرائيلية » . نجد ان العائدات لم تتجاوز ١٧٠٤٠٠ مليون ليرة . وهذا الرقم الاخير يشمل العجز الرسمي الذي يصل الى ٦٠٠٠ مليون ليرة . والذي تقترح الموازنة تغطيته عن طريق تقديمات البنك المركزي . اي بطبع المزيد من الاوراق المالية .

هذا اذا استثنينا المساعدات الامريكية . والتي تشتمل كما تقول الموازنة على ما يلي : معونة عسكرية بـ (١٨٧٠٠) مليون ليرة . معونة مدنية بـ (١٣٠٠٠) مليون ليرة . معونة اسكانية بـ (٤٠٠٠) ليرة . معونة غذائية بـ (١٦٠ مليون) ليرة . جبيعات السندات « الاسرائيلية » في الولايات المتحدة بـ (٤٩٥٠) مليون ليرة . هذه المساعدات لا تقلل من حجم الديون . اذا اخذ في الاعتبار معدل زيادة نسبة خدمة الدين العام الى اجمالي النفقات من سنة الى اخرى . فقد بلغت النسبة في عام ٧٦ ـ ٧٧ ما مقداره ٢٤،٦ ٪ ومعنى ذلك انها ستصل خلال السنتين القادمتين الى ٥٠ ٪ وربما اكثر . هذا يزيد من درجة اعتماد اسرائيل على الولايات المتحدة وبالتالي يدفعها الى تقليص عوامل الخلافات الناشبة بسبب التباين في وجهات النظر حول الخطوات الاكثر من اجل ضمان سلامة « اسرائيل » وامنها واستقرارها واستمرارها .

ويضاف الى هذين العاملين الازمة السكانية والاجتماعية الناتجة عن التركيبة الديمغرافية للكيان الصهيوني . وخاصة في المناطق المحتلة بعد حرب ١٩٦٧ وبالتحديد في المواقع التي يدور حولها الصراع السياسي بشأن التسوية والمساومات . ويزيد من تأثير هذا العامل تنامي العمل الفدائي داخل الارض المحتلة .

الوضع الراهن للتسوية والمنطقة يفرض مهمات حاسمة على قمة جدية للصمود والتصدي

من هنا فان العدو الصهيوني . وامام جميع هذه العوامل . بات من مصلحته المباشرة والملحة ان يحيي المفاوضات لا ان ينجحها وهذه مسألة في غاية الاهمية . اذ ان جميع الاقطاب السياسية المؤثرة في القرار الصهيوني كان موقفها ـ في نهاية المطاف ـ سلبيا من الاقتراحات المصرية اللهم الا اذا اعتبرنا قرار حضور مؤتمر لندن هو ظاهرة ايجابية وهو ما يحلو للسادات ان يعيش على توهمه .

فاجابات العدو الصهيوني جميعها تقف عند سياج الموافقة على عودة المباحثات . ولا يريد اي منها ان يتجاوز ذلك السور الا اذا توفرت الشروط التي يسعى العدو ان يفرضها على الجميع .

الموضع والمواقف في مصر

ليس المجال هنا الغوص في تفاصيل الازمة الاقتصادية والمالية الخانقة الممسكة بتلابيب النظام المصري . والناجمة اساسا عن سياسة الانفتاح العرجاء التي يسير عليها ذلك النظام . لكن من الضروري والمهم الوقوف عند الازمة السياسية التي تعصف به . فحكام السادات اليوم لم يعودوا محصورين في اطار القوى السابرة او من يصفهم بالشيوعيين فقط . بل اصبحوا جبهة عريضة تضم فيما تضم بين صفوفها قوى يسارية الى جانب قوى طبقية تنتمي الى ذات الشريحة الاجتماعية التي ينحدر منها السادات . او يعيشها بعد وصوله الى السلطة . ومن ثم فقد تحول الى اقلية ضئيلة حاكمة تعاني من حصار واسع تحاول قدر امكانها الانعتاق منه . او كسر قيوده . وحيث ان تحقيق ذلك عن طريق انجازات داخلية يقترب من المستحيل . فلا بد من البحث عن مخرج خارجي . واوسع ابوابه « التسوية » او الطريق اليها .

ويحاول السادات أن ينقد بجلده من الافكار الداخلية مستفيدا من العوامل الخارجية التي جرت على المنطقة وخاصة بعد احداث افغانستان . وما جرى في اليمن الطبيعي . وما تلا ذلك من القرارات التي اتخذتها الجامعة العربية بشأن اليمن الديمقراطية . فامام الاندفاع السعودي المتحالف مع اليمن الشمالي والهادف الى اخذ قرار بطرد النظام التقدمي في اليمن الديمقراطية من الجامعة العربية . وجد السادات فرصته ليكبح جماح تلك الرغبة ويصل بها الى القرار الصادر عن ١٥ دولة مقابل لهثه لاجل ازالة العقبات المعيقة لعجلة التسوية ودورانها . والمساومة ليس بالضرورة ان تكون عبر حوارات واضحة ومباشرة يهمها العودة الى حلبة المساومة وميدان التسوية . اذ يكفي ان تقوم بذلك العديد من المؤشرات وبعض الخطوات وسائجها .

من هذه المنطلقات قدم السادات مشروعه الاخير الى لقاء لندن وادعى التفاؤل . وراح يلعب على اوتار الاشتراكية الدولية التي على الرغم من اهمية كسبه لها الا انها ليست العامل الحاسم في ازالة الصدأ من فوق حنازير عربة التسوية لضمان سيرها . فطبيعة الصدأ وارتفاعه بحاجة الى قوى مزيلة تفوق طاقتها تلك التي تمتلكها الدولية الاشتراكية بما فيها تلك التي داخل الكيان الصهيوني .

وحتى وهو يفتعل التفاؤل . لم يستطع السادات ان يزيح مسحة الخوف والتشاؤم التي بدت على تصرفاته وتصريحاته . فهو لا يزال يشكك في صدق نوايا بيغن . ويصر على وصفه بالسياسي القديم الذي ليس في وسعه استيعاب المتغيرات التي طرأت بعد « الزيارة » . ويستحيل عليه ـ من وجهة نظر السادات ـ التفاعل مع الظروف التي استجدت بعد المبادرة . التي « ازالت ٧٠ ٪ من العقد النفسية . والخوف المفتعل » !!!

وعليه فان الرئيس المصري يعني نفسه بكسب الحسنيين من وراء حضور المؤتمر : اما الوصول الى اتفاق « معقول » !! يعبر به بحر الاخفاقات المتلاطم الذي هو فيه منذ عودته من القدس المحتلة . او تحميل « اسرائيل » افشال مبادرته والعودة مجددا الى جنيف . وهنا تعطي المساومة المشار اليها ثمارها . وتتجه سفينة التسوية مدفوعة برياح عربية ودولية نحو جنيف دون اي ضجيج . ودون خشية عواصف هوجاء تعرض من فوقها لخطر تخلف الثورة الفلسطينية . ونشاطها الثوري وخاصة في داخل الارض المحتلة .

القبطان الاميركي

الولايات المتحدة التي سيحضر وزير خارجيتها اجتماع لندن لم تعد حكما منحازا في الصراع . بل باتت تجعل من نفسها طرفا مهما ومباشرا في سير اعمال مباحثات تسويته . فحاجتها الى النفط العربي . ومصلحتها في الاستقرار السياسي والاجتماعي في هذه المنطقة كما تقيمه وتريده وخشيتها من انقلابات مناوئة لاستراتيجيتها . واخيرا وليس اخرا تخوفها من فقدان الثقة لدى حلفائها واعدائها في هذه الساحة . كافة هذه العوامل تزيد من سرعة اندفاعها للخروج من الجمود الذي يكتنف المجادثات المصرية ـ الصهيونية . وقد يشجعها على الدعوة مجددا الى ادخال اطراف اخرى . عملت في السابق على خطر دخولها . او سعت الى استبعادها من مشروعات التسوية .

ان ازدياد اختلاط زيت الشرق الاوسط بأوضاعه السياسية . وتسربه الى كواليس صنع القرار الامريكي يجعل الامبريالية الامريكية تمعن النظر اكثر من مرة في اية خطوة تقدم عليها في ميدان الصراع . وتحسب حسابها ليس لردة الفعل الصهيونية فقط . وانما لتلك التي قد تبدر عن حلفائها « العرب » في وضعهم الراهن ايضا .

الخوف من انقلاب عسكري قادم !

● لاول مرة تسمح الصحافة المصرية بمناقشة احتمال قيام انقلاب عسكري في مصر بعد تأكيدات السادات المستمرة بأن الجيش في جيبه وانه يضمن ولائه كما يضمن الضغط الامريكي على اسرائيل !

وقد نوقشت مسألة التخوف من انقلاب عسكري على صفحات مجلة روزاليوسف في مقال كتبه الدكتور عبد العظيم رمضان وهو احد رموز اليسار الساداتي والمرشح الباقي ليكون منظر النظام واحد مؤيدي « مبادرة » السادات من وجهة نظر « تقدمية » ... وما يطرحه المقال الذي يبدو انه ملكف به يعكس مخاوف الصحفيين والمفكرين الذين ربطوا انفسهم بعجلة النظام المجربة بالقدر الذي يعكس مخاوف النظام نفسه خاصة بعد ظهور « الشاذلي » كمعارض بكل ما يمثله الشاذلي من علاقات داخل الجيش وما يطرحه من افكار وما ينتظر ان يطرحه من اسرار .

يحذر الدكتور رمضان بعض المصريين في الخارج الذين ينظرون الى الامور بمنظار قائم والذين اصبحت امانيهم تتوقف على انقلاب ينهي صفحة هذا النظام الى الابد ويبدأ صفحة جديدة .. كما يحذر النظام نفسه من الاستمرار على موقفه الاخير من شجب للمعارضة العلنية ويطالبه بأن يسبح من وسائل التعبير والديمقراطية الحقيقية ما يهيء المسالك الشرعية للتغيير السلمي ويسد الطريق في وجه اي مغامرة انقلابية لن يستفيد منها احد ولن ينجو منها احد وانما ستغرق الجميع .. وصدق او لا تصدق ان هذه كلمات الدكتور عبد العظيم بالنص وفي مجلة روز اليوسف الحكومية (عدد ١٠ يوليو نموز ١٩٧٨) !

اما من ماذا يحذرهم الدكتور المؤرخ المنظر ؟ فمن :

١ ـ انقلاب فاشستي يعبر عن مصالح القوى الاجتماعية الجديدة التي تقوم باستغراف مصر ونهبها وهي صاحبة المصلحة في ضرب الديمقراطية لانها تعريها وتفضحها ـ هذا الانقلاب لن يكون في احسن الاحوال الا انذارا لتجربة ٢٣ يوليو التي استولى فيها العسكر على السلطة فلم يتركوها حتى اليوم (ايضا هذا الكلام منشور في هذه الايام وفي مجلة ساداتية) .

٢ ـ انقلاب شيوعي على غرار النظام الاثيوبي (من وجهة نظر الدكتور) لانه سيقهر الشعب داخليا ويقمع حركات التحرر خارجيا ومصيره الى الفشل بعد ان يؤدي بالبلاد الى الخراب !

ونحن لا ناقش افكار الدكتور هنا لكننا نشير الى هذا التوجه الجديد للنظام الساداتي .. توجه العودة الى اللعبة الديمقراطية الشكلية بعد الخسائر المتوالية والاخطار التي تدق الباب بعنف .. وهو التوجه الثاني لانعكاس المعادلة العدنية على السياسة المصرية ـ هجوم شرس وتوحشي على كل ما هو ثوري او تقدمي مع عقد اوسع التحالفات مع القوى المعادية لحركة التحرر في العالم .. وفي نفس الوقت السماح بالتنفيس الديمقراطي الذي حاول السادات غلق صماماته فجاءت احداث اليمن الديمقراطية تحذر وتنذر .

وفي اطار هذه المعادلة الجديدة يمكن ان نفهم تجميد التحقيق مع الصحفيين المصريين بعد تسعير الحملة ضدهم . كما نفهم السماح ثانية بصدور جريدة الاهالي التي وصفها السادات وابواقه بأنها منشور شيوعي قبل شهر كما نفهم فتح الصحافة الحكومية الحوار حول اليسار الوطني المطلوب !

مسكنات جديدة ثانية قد تؤجل الانفجار ولكنها تزيده عمقا وقوة !

وحين قدم مؤيديل الى الشرق الاوسط . كان واضحا امامه الباب المؤصد امام المجادثات الثنائية . وماثلا امامه ايضا خطر انهيار تلك المجادثات . وبالتالي كان عليه المساعدة في البحث عن مخرج يعيد توزيع الحصص . ومن ثم موازين القوى بحيث تخدم محصلتها النهائية المصلحة الامريكية . وحاول المؤقد الامريكي . ان يترك موقع الحكم ليركب سفينة التسوية قبطانا يقودها من ضيقة لندن الى ضيق اخرى اذا سمحت له الرياح بذلك .

دور « الصمود والتصدي »

في هذه المرحلة لا تكفي المراهنة على فشل « المبادرة » ولا ينبغي القبول بوصول المجادثات الثنائية الى طريق مسدود . فهذا الموقف السلبي يجعل الجماهير تعيش حالة ضياع وبلبلة . حتى عندما ترفض السادات ونهجه . ذلك انها تبقى تفتقر الى البديل الثوري المؤهل تاريخيا لان يأخذ بيدها ويقودها الى ارض فلسطين .

لقد كان مبرر وسبب قيام جبهة الصمود والتصدي ليس الرد السلبي على المبادرة . وانما نسفها ووضع البرنامج البديل لها . وبالتالي فالظروف المستجدة والقائمة تضع على عاتق جبهة الصمود والتصدي مهمات ملحة وضرورية لا بد من القيام بها .

لذا فلا بد من توقع ان يعقب فشل لندن طرح مشروعات جديدة للتسوية . تأخذ في الحسبان القواسم المشتركة في المشروعات المقدمة . وتحاول ان تصل الى حقيقة توفيقية تنجح في حقن مساعي التسوية بعقاقير جديدة تعيد اليها حيويتها . وتلغي عن كاهل السادات عبء الاعتراف بالفشل . وتفسح المجال امام دوامة جديدة من اللهث وراء سراب تلك المشروعات .

وعليه فان الاكتفاء بالشجب اللفظي . المعاداة الكلامية لن تجدي نفعا . لانها تفقد اهميتها ما لم تكن مقرونة ببرنامج عمل يستطيع ان يستقطب الجماهير . ويعبؤها . ويؤطرها . بعد صهرها في بوتقة نضالية واضحة المعالم . فبلورة السمات .

ان الوصول الى هذه الحالة الراقية من العلاقات داخل جبهة الصمود والتصدي تحتاج الى جهد واسع ودؤوب لمواجهة الاعداء ومخططاتهم . والذين يرون في الوطن العربي اهمية خاصة لمالهم من مصالح حيوية في هذه المنطقة . ولتأثيرات الصراع العربي ـ الصهيوني عليها .

ومن هنا فان قمة جديدة لدول الصمود والتصدي باتت اكثر الحاحا من اي وقت مضى . حيث ان الصراع العربي ـ الصهيوني لم يعد محصورا في دول المواجهة والعدو فقط . بل اتسع ليدق شواطىء باب المندب . ويلامس مداخل مضيق هرمز منذرا بالعودة مجددا الى الوقوع تحت كوابيس التسوية واحلام يقظتها .